خواطر أسيرة

عندما يعجز الجسد عن الفعل ، تنفجر الكلمات في فضاء العقل باحثة عن رقعةٍ ترسو عليها ..

١. كلمات

ما أجملها عندما تخرج من داخلنا بتلقائيتها تلك التي يشعر المرء عند سماعها أو قراءتها بعدم تكلف صاحبها وتضعه في قالب أدبي صقلته أذرع " أخطبوط بشري" يتألف من البلاغة والتعبير.

ما أجمل اللعب معها والتلاعب بها كما يتلاعب المهرج بدمياته ، يضحكها أحياناً ويبكيها أخرى ، وفي حالة الإبداع أن تعبر عن موقف ، والأهم من ذلك أن لا تكون كالنقش على الماء ولها رصيد في بنك الواقع .

يا أيها الإنسان احرص على صدقها وعدم تشويه جمالها الفطري ، ولا تتعامل معها باستهانة ، فرُبَّ واحدة منها لا تلقي لها بالاً ...

وأتمنى أن أدرك ما أكتب

" فليس كل ما يكتبه المرء يُدركه ، تأتي الأقلام بما لا تشتهي المقاصد .. أحياناً "

٢. مخيلتي

هي عالمي الذي أهرب إليه في محنتي ، وعبرها أغادر سجني متى أشاء إلى هذا العالم الذي أنا فيه لا شيء ، وكل شيء أنا فيه الحر والأسير ، الحاكم والمحكوم ، عالم يسوده الجنون ، حيث اللا منطق ، لكنه في نفس الوقت ممتع ، ففيه أتمرد على سجاني وأحقق كل الأماني ، هي منفذي الوحيد إلى بحر الحياة ... مخيلتي .

٣. قلمي

صديقي الصدوق يرافقني في كل الظروف كظلي ، لكنه بخلافه لا يختفي في الظلمة ، إنما جعل لينيرها .تمر لحظات وأحياناً تمتد إلى أيام أو أكثر يجافيني فيها أتوسل إليه كفاك جفى بدونك أنا لستُ سوى واحداً من كذا ، أرجوك لا تفضحني فهناك من ينتظر أدبي أو قلته ! لا أدري فمن ناحيتي أنا أنظر إليك ، كالطفل في عين أمه إذا أطالت الجفا يا هوى قلبي ، ستنازعني فيك كتبي ، حينها أنتّ المسؤول يا .. قلمي.

٤. ثبات

شبّ في الجبال وهو من شيم الرجال ، شيخ في هذا الزمان ، أصبحنا نرى أقواماً يولدون شامخين كالجبال وينتهي بهم الزمان في القاع كالوديان ، كيف يطيب للمرء منا الدنو بعد أن ذاق طعم معانقة السماء ؟! ، أم هي شماعة النسيان ؟ ، إن كان لذلك تذكّر أنك كنت يوماً بطلاً في ميادين الجهاد ، والأسمى جندياً من جنود الرحمن ، اسأله الثبات.

٥. محبوبتي

محبوبتي بحثت في عيون الناس عنك فلم أجدك لأنك كنت تسكنين قلبي ، أسيرة وما زلت ، يوم تحررك لن يكون إلا يومَ وقوف قلبي ، محبوبتي ... فلسطين

٦. معادن

لا تخدعنك المظاهر في الحكم على الرجال ، فما هي إلا قشور تختفي من تحتها مناجم من المعادن ، فيها الثمين والأصيل ، ومنها الرخيص والخسيس ، الرجال معادن ، ورجال كشفها المحن .

٧. حال الأسرى مع الدنيا

من أهلها ولسنا منها ، أمواتٌ نعيش فيها على فتات فتاتها ، لا نلتقي بأهلها إلا بأهلنا ، ولا نأكل من الأشياء إلا أسماءها ، نعيش حالة الحشر قبل البحث على البعث على طريقتها ، فرادى أو أشتاتاً نُبعث منها إليها فمن بعد رميم أحبابنا .

هذا حالنا مع الدنيا نعيش حالة البزخ فيها بين دنيا والدنيا .

٨. البصر والبصيرة

باستطاعة الإنسان العيش إذا فقد البصر ، لكنه سيفقد الحياة وهو على قيدها إذا فقد البصيرة .

٩. كفراً بالعشير

من أبدأ تدوين ألمني ، من سخطي عليه أم من على نفسي أنا في حيرة من أمري أم من تلك الأمواج التي لم يعد منها إلا أسوأها ، لم يراعِ الحسنات اللائي يذهبن السيئات ، واختار من أطباع النساء نفراً بالعشير واعتمدها ، تحملته دهراً وعند أولى ذلاتي ،، حكم كفراً ورحل ، عبداً ، لأن الحر من راعى وداد لحظة .

١٠. كيان

تخيل أيها الإنسان ميزاناً فيه الكون في كفه وعالم أسير في كفه منذ كذا وكذا وأنا أنا ، أنا واقف والكون من حولي يسير ، تمر عليّ السنين غير آبه بي ، كأنها تمر على فراغ ، يا أيتها السنين ، ألم تعلمي أن الفراغ هو جزء من كياني ! ، تمتد منه فروعي امتدادَ الشرق والغرب وبالعكس ، لكنها لا تجاوز سجني ، أشعر كأني نصف الكون وهذا الشعور نابعٌ من كوني مركز كوني ! إن لم تصدقوني اسألوا الميزان عني ، فيه كونكم مقابل كوني ! وبالرغم أنا أعترف ، أنا واقعي غير واقعكم وعالمي غير عالمكم ، أنا أعيش في قفص هو كل كياني ، وكيانكم هو باقي الكون ، أنظر

إليه من بيت تضاريس سياج سجني ، ولا أرى منه سوى فضاء كوني .

١١. انطوائي يعيش في الظل

تخلى عنه ولو لمرة لكي تكتشف أن بهذا العالم ما يستحق المغامرة ، وأن ما وراء الظل حياة غير التي تعيشها ... اكتشفها واترك بصمتك فيها حتى لا تغادرها من هامشها .

١٢. إلى ناقدي

هي رد على أخ علّق على إحدى كتاباتي بعبارة (مصدق حالو) فكتبت " عندما يعجز الجسد عن الفعل ، تنفجر الكلمات في فضاء العقل باحثة عن رقعةٍ ترسو عليها .. .... "

إلى ناقدي أقول : أنا لست مصدقاً لنفسي ولا حتى أراها فليس لي سواك مرآة أراني فيها ، بدون خدوش ، مع احترامي لك ، ماذا كنت فاعلاً مكاني لحظة ذلك الانفجار ؟! ، هل أتركه يقتل داخلي ؟! ، أم أحييه على ورقي ، أرجوك أوقد شمعة بدل أن تلعن الظلامَ أو دعني أرتحل من ألمي إلى أملي فأنا لا أملك سوى قلمي .

١٣. انهيار الجدران

ها قد اقترب جدار الثامن عشر من سجني لينهار أمامي وأنا ما زلت واقفاً أمامي ، أنتظر الجدار التالي في اختبار لصبري وإيماني .
مع كل اختبار أجدد العهد مع الله وأسأله العافية فيما هو آت ، دون أن ينتقص ذلك ذروة من ثباتي وإيماني .

١٤. حصار الحصار

يا عروساً تكالبت عليها كل زناة العصر للنيل منها أبت الخنوع والركوع ، واقفةً تدافع عن شرفها وشرف أمها ، عرضوا عليها المغريات يراودونها عن نفسها ، رفضت شامخة تأبى التنازل عن

عفتها ، قالوا ساوموها على لقمة عيشها ، فأعلنت الصيام وقالت لباطن الأرض ! خيرٌ من ظاهرها ، قالوا إذاً فحاصروها حتى استسلامها ، فحاصرتهم هي بصمودها ، إذا سألتم عن اسمها ، فابحثوا عن العزة من بين الأسماء كلها ، ستجدون غزة .. اسماً لعروستنا .

١٥. الأنانية

من يحيى لنفسه يموت كما تموت القواصي من الغنم مهما بلغ الإنسان من الجمال إذا وقع في حبها ، سيجعل منه ذلك أكثر مخلوقات الدنيا بشاعة ، إنها مستنقع شديد النتانة ، فقطعة منه تعكر أكثر النفوس صفاءً ، ما أن يقترب منه أحد حتى يسارع في البعد عنه ، تفوح منه رائحة ... الأنا .

١٦. عندما بكت الرجال

كتبت في أعقاب صفقة وفاء الأحرار جاء النبأ العظيم بعد طول سنين ، ظهر النور لأبي النور عند نهاية النفق ، ولاح في الأفق ظلامٌ بعيد لواحدٍ من جديد ، إنها لحظة الحقيقة ، تبيّض فيها وجوه وتسود أخرى وقف أصحاب القبور أمام قبورهم يرقبون صحفاً متطايرة ، كتب عليها بعثٌ من جديد ، حظيّ من حظي بها ، ورجع الباقون جثث هامدة ، تسبح ربها " لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا ظالمين ، ربنا إن لم يكن بك علينا غضبٌ فلا نبالي .
ربنا منا من ظلم ومنا من قهر ، ربنا لا تجعل في قلوبنا غلّاً للذين آمنوا ، حينها بكت الرجال ، وعندما تبكي الرجال ، تبكي دماً من قلوبها لا من عيونها ، حينها سال دمع الدم على خدي القلب محدثاً خطوطاً يملأها القهر والألم ، ينبض من أسفلها قلب برقة في نفس الزمن ، مودعاً بها أصحاباً كانوا رفاق الدرب والمحنة ، مخاطباً إياه بل مطالباً ، اتركونا بهدوء ، لكن لا تتركونا إلى الأبد ، فوالله قد مللنا هذا السبات ونريد اللحاق ، اتركونا بسلام ، ولا تسلموا علينا سلام دار قومٍ مؤمنين ! ، أذكركم إن الذكرى تنفع المؤمنين .

١٧. غزوة الفراشات

ذات صباح إلى عالمنا تسللت فراشات تتستر بما تيّسر من الغيوم ، باحثة عن مأوى يحميها من المطر .

فرح المقيمين بالقدوم ، فاضحين تسترها بالابتهاج بها وبملاحقتها بالنظر ، شيئاً فشيئاً بدأت الغيوم بالتلاشي ، وبدأ معها شروق الشمس في أعقاب ليلة غاب فيها ضوء القمر ، في مشهد امتزجت فيه خيوط الشمس مع المطر ، زيّنت الفراشات جدران المعتقل .

١٨. أحجية

أعرني سمعك وقلبك يا مواطن .

إنها سهلة ، إنها حولك ولا ترى منها شيء ، أنت فيها مواطن بلا وطن ، يعيش تحت سيادتها ولا سيادة لها ، تحمل هويتها ولا هوية لها ، حدودها بلا حدود ، مجراها على ورق ، وسماؤها للمطر لا للطيران فيها .

هل عرفتها ؟!

تلميح. إنها كالذي يسير بلا أقدام ويسبح بلا ماء ويتنفس بلا هواء ، هل عرفتها ؟!

تصريح . إنها دولة الورق ، دولة بلا دولة

حقيقة . ليس بالأوراق تسترد الأوطان ، ولا بالسؤال تعاد الحقوق ، إنما بالدم والروح توهب الحياة ، وبالحق والقوة ، تنتزع الحرية .

١٩. ناسا

كوكب دائم الظلمة تأتيه على استحياء أنوار موسمية في محاولات لأخذ مكان عليها ، لكن دون جدوى للفوضى التي تسوده لانعدام الجاذبية عليه ! لهذا الكوكب قمران كباقي الكواكب لكن بخلافهما على الدوام يعيش حالة الخوف الكامل ! هل عرفتم ناسا ؟ إنه إنسان ناقد ساخط يرى العالم بلون واحد .

٢٠. بمحض ارادتي

سألني يوما أحدهما عن حالي، صابرٌ والحمد لله كان جوابي . قال رغماً عنك وهل لك إلا أن تصبر وتعاني . قلت عجباً وهل منا رغماً عنه سلك ميادين الجهاد ؟ !وهل أوصلني إلى صبري سوى ارادتي ؟ !فلما سلك الدرب كنت أعلم أن المقابر والسجون جناحان لطائر يحمل مصيري ، إذاً حراً أنا حتى عند سجاني .

٢١. من أوتي الحكمة

ليس من الذكاء بمكان أن يعلم الإنسان أن هناك موت وبعد هذه الحياه إنما الحكمة أن يدرك بعمله هذه الحقيقة .

٢٢. أسير مضرب عن الطعام ينتظر خبر ينهي معاناته

أقف حيران، أنظر إلى كل الاتجاهات ، أصغي إلى كل الهمسات . أراقب كل النسمات لعل واحدةً منها تحمل معها ما يطمئن أمعائي نعم أمعائي وليس قلبي فقلبي مازال ينبض أما أمعائي أشعرها تلتف حول جسمي الضعيف وتستغيث ، تخنقني مع كل استغاثة حتى كدتُ أفقد صوابي قبل قوامي ، تدفعني لأترصد بصيص أمل لعله يأتي ولو من بعيد، فالمنظور مهما طال بعده مصيره القرب

٢٣. مضرب عن الطعام يخاطب شعوره لكي يرجعه إلى الأيام الخوالي

يا أيها الشعور عندي طلب ، بل رجاء ، أليس بالإمكان التجول إلى حقبةٌ من الزمن لكي أعيش واقعي الإنسان ! أنا لا أطلب شيئاً من الخيال بل أطلب كل الخيال لعلي أنسى ألمي برهة من الزمن

٢٤. الكرسي

ساحر وجميل ومنه متواضع الجمال لكنه في جميع الحالات فتان ! في سبيله قدمت ضحايا وقرابين وديست مبادئ وقوانين.

هو للمفسدين بالدنيا عز وفخامة وفي الآخرة خزي وندامة وهو للذي يتقيه سلمٌ يعتليه في جنات النعيم .

٢٥. عند اكتمال القمر عند اكتمال القمر

الصحراء لوبرها والبحار لراكبيها ويسهر العشاق على ضيائه يتبادلون كلمات العشق والغزل يتأملون جماله من على مقاعد الحدائق في الهواء الطلق ومن على شرفات البيوت ومن جميع الأماكن الحرة من حولي في هذا العالم . وفي عالم الأدب ينقش الشعراء أبياتهم على صخوره ويتغنون بوصفه وللروائيين مصدر إلهام .

أما في عالمي هو وسيلة تواصل مع محبوبتي . في مثل هذا اليوم عند اكتمال القمر ، كان آخر موعد لنا كأنه الدهر منذ إذ ومن قبل من قطع التفكير فيكِ لحظة واحدة حتى في منامي عبر أحلامي ، أنتِ دوماً حاضرةً ببالي . خلف هذه القضبان واقف أنتظر مرور سحابة تحول بيني وبين موعدي ! ، تخترقها نسماتٌ تداعب جسدي وقلبي من وراء جلدي تسللت كلصوص الليل من بين الفتحات من أعلى الباب.

يا ترى هذه النسمات التي هي نفسها التي تداعبك الآن ليكتمل الشعور المحسوس مع اكتمال القمر ، أتساءل . شهران كاملان بدون تواصل ، لا زيارات ولا مراسلات ، ليس سوى اكتمال القمر موعداً للقاء يا توأم الروح . أبعدوني عنك رغماً عني بعداً يحاكي انشطار

الذرة الذي ولّد انفجار المشاعر والاحاسيس ... انه انفصال الجسد واتصال الروح ما أخشاه هو أن يأتي يومٌ أرثي فيه مشاعري لطول الغياب والبعد لذلك سأبقى على تواصل معكِ عبر هذا القمر حتى يصيب القلوب العفن .ردت عليه توأم روحهِ من على كرسيها الخشبي الذي يتوسط شرفت بيتها . تحيات وأشواق ارسلها إلى القمر تحمل مع ارتدادها إليك عبير الزهور الصاعد من الحقول ، وكل كلمات الحب والوفاء التي تملأ الأجواء ودعاء المستجيرين والمظلومين بهذا العالم لعله دعوة صاعدةٌ على متنِ أحد سهام الليل وليس بينها وبين الله حاجب تصيبك في سجنك . يا ترى تسمعوني كما أسمعك عبر قلبي أم توقفت دقات العشق لديك . وأنت صاحب شعار : (ما أجمل البندقية عندما يعبر عنها القلم ، ويملك صاحبها قلبً يملأه الحب والأمل . (أم قلبك كالنبع الذي لا ينضب ماؤه . من ناحيتي حبي لك امتزج بثلثي الدنيا ..... ! موجود هناك في الأعماق إلى الأبد

٢٦. الشفق الأحمر

يتيم الدنيا أقف خلف باب صقل من حديد أراقب طفلاً يحتضنه والده الليل بعد أن أوشكت أمه شمس النهار على المغيب ، مشهد جميل يصحبه صوت زقزقة العصافير وصوت قرع الحديد والسجان يضع الأقفال على الأبواب رغم أنف سجاني ، أجتاز أسواري وأشارك مشاهدة الملايين مساء كل يوم جديد .

٢٧. عند المغيب

عندما يحل المغيب وتبدأ شمس النهار بالرحيل ، ذلك يعني أنه آن أوان المغيب ، ليس لأننا دجاج يبيض ولكن هذه هي قوانين سجننا البغيض .

الكل يسكن داخل مسكنه حراً . الجميع يمنع من الإزعاج أو الضجيج .

هدوء يحاكي صمت القبور ، حياة برزخ حتى البزوغ .
نستيقظ بعدها على صوت النفخة الأولى (سماعة) السجن ،
نحصى العدد ، ثم تأتي الثانية إيذاناً بالبعث الجديد (نهاية العدد) .

نعيش في روتين قاتل ، نهاراً عشناه من قبل ألف مرة ومرة ، كأنه مشهد نعيد تكرار تصويره من فيلم طويل ، هكذا حتى المغيب ، وغداً يوم آخر ..... ، ربنا عجّل آخرة سجننا .

٢٨. في بطن الحوت

أخبرني أحدهم بشيء من الأسى يظهر على وجهه ، أن هناك جمعية وضعت مشكورة اسم وقضية كل أسير في زجاجة ، ورمتها في البحر ، على الفور بدأت أتخيلني برفقة قضيتي في بطن حوت ابتلعني ، بعد أن حسبني جزءً من طعامه اليومي ، أيقظني من شرود خاطري ألم واقعي الذي يذكرني بالحوت الذي ما زلت أتقلب داخله سنين وسنين أنتظر لحظة لفظي .... ، فإذا بي أوضع في .... بهدف نسياني ، عذراً قصدي إنساني !!! .

٢٩. القهر

القهر تقال في بعض المواقف أما في السجن نعيش حروف القهر بتفاصيلها ، القاف قوانينُ تقيدنا ، والهاء هموم نعيش على مدار حياتنا ، أما الراء رغماً عنا نفعل ما لا يوافقنا ولا يفارقنا .

٣٠. الأمل

الأمل والأكسجين جناحان للأسير ، فقدان أحدهم يعني نهاية التحلق بهذا الكون .
لولا إيماننا بربنا ثم الأمل بفرجة لأصبح السجين منا ريشة في مهب الريح ، أو كالذي يسير في الصحراء بليلة غير حمراء ، ولمّا انتظر البعض احتراق سنين عمره أمامه كالشمعة دون أن يصنع حداً لهذا الاحتراق !!! .

٣١. قراءة الأدب

ترسل حروف علوم الدنيا إلى العقول عبر العيون ، ولا عيون لقراءة الشعر والأدب إنما بالإحساس والشعور تقلب في القلوب صفحات الشعر والأدب على الأقل هذا ما لدي ثبت .

٣٢. زهرة العمر

العشرينيات والثلاثينيات جميعها في السجن والحمد لله ، في زهرة العمر يبدأ الإنسان تنفيذ أحلامه وطموحاته ، وأنا عشتها من ألفها إلى يائها وأنا أحلم وأحلم ثم أحلم حتى نفذت أحلامي وحوصرت طموحاتي داخل جدران سجني .

وها أنا اليوم أقف على أبواب الخريف لعله يكون أفضل من الربيع في انقلاب للموازين .
اللهم خذ من أعمارنا حتى ترضى

٣٣. وقوف الزمن

لم أنسَ تلك اللحظة التي توقف فيها الزمن وأنا في أوج انطلاقتي بهذه الحياة ، وتوقف معه نموي الطبيعي ، وأصبحت أعيش على الحبل السري للحياة ، لا أشارك الأحياء إلا بما يبقي على الحياة . انتظرت تسعة أشهر ، تسعين ومئلهم وأنا على هذه الحال ، أنتظر تاريخاً لوضعي !

٣٤. نهاية الأشياء

بدأت الأشياء والأحداث من حولي تتسابق فيما بينها نحو نهاياتها .هل هي الإرهاصات التي تسبق البدايات الجديدة ، أم هو مجرد شعور نابعٌ من مدى اختناقي من واقعي الذي بتّ فيه كالغريب عنه .أم هي الأشياء أرادت أن تخلق من حولي هذا الشعور ، تعاطفاً وتضامناً منها ... أتساءل .

٣٥. أحزاب العصر

بلاد المؤامرات وفرعون مصر مع بلاد أحزاب الأمس
جمعهم خطرٌ يداهم بلاد العُرُب ..
كرامة وحرية تطالب بها الشعوب العربية ، وباءٌ يجب محاصرته قبل أن يتفشى وقتل الروح الوطنية ، ويكشف عنها غطاء الشرعية
هذا ما تعاهدوا وكتبوه بأخبارهم السرية
نبحث عن مصدر الوباء ونحاصره للقضاء عليه ، اقترح اثنان ممن يرتدون الجلابية!
غزة رأس الأفعى أجاب فرعون مصر
إذن اضرب حصارك واحفر خندقك ، واستعن ببني العمومة !
والسلطة الوطنية .
اقطع عن القطاع الإمداد ولا تخشى الإنفاق على الأنفاق ، سنمدك بالنفط والعملة الأجنبية .
مر على الحصار كذا وكذا بالرغم من .. ، لكن دون جدوى فالقطاع حاصر حصاره بالصبر والثبات ، وما زالت غزة تتنفس كرامة وحرية .....

٣٦. أرض العزة

على رمالها المروي بدماء الشهداء لا من بكاء السماء يمشي المرءُ بعزة .
بحرها مده كرامة وجزره حرية ، في سمائها تحلق صواريخ العز القسامية ، الواحد منها يساوي الترسانة العربية أهلها لا يسبقهم من إلا من هم أكثر صلابة وتضحية
مجاهديها بشجاعتهم يشهد عدوهم طلائع فخر ونصر للأمة الإسلامية ، تحمل في باطنها متاهات الموت لأعدائها ، كلما غزوها حسبوها نزه فكان الانهزام ، بوحل غزة مرغت أنوف الصهاينة
غزة أنا لو كان دمي حبراً لقلمي لنفذ قبل أن أضع آخر حروف ما تستحقين على ورقي لذلك سأختم بالقول
أنتِ جزيرة الشرف الوحيدة في بحر الخيانة .

٣٧. عالم الصغائر

عالمي هو عالم الصغائر ، أعيشها بتفاصيلها لا لأنني أصبحت قزماً يرى الأشياء من حوله تتفوق عليه ، ولكن رغماً عني فأنا في هذا العالم مسير لا مخير يلومنا البعض على تفاهة ما نختلف عليه ، مقياسهم ما بقي في الذهن من منطق الدنيا عالق ألم يسمعوا بفتوى الشافعي ما بين العراق ومصر أشياء وأشياء تتبدل ، وما بين دنيا ودنيا عالم بأسره يا زائري في السجن لأشهر حتى ولو امتدت لعالم أو اثنين ، ارحمني من فتاويك التي لا تجاوز بعد مد القدم ، غُص ولا تبقى على الماء تطفو ، من أراد اكتشاف البحر رمى بشباكه في الأعماق ، وكم من الخفايا لا يعلمها إلا الباري ثم من عاش سنين وسنين في بطن الحوت .

٣٨. صاحب القبعة الخضراء

صاحبنا يرتدي قبعة خضراء من صنع يده ونظراتٌ سوداء من صنع مخيلته ! يرى العالم من خلالها لا ألوان في حياته إلا الأسود ! لا أمل ولا تفاؤل في قاموسه !

قلت له تحرر من العوم في بحر الظلام ، فمهما كنت تجيد السباحة ، مصيرك الهلاك .

انظر إلى نفسك ولتكن في حياتك بقعة من ضوء ، كما هو الحال مع القبعة الخضراء التي تعتلي سواد قلبك ورأسك .

صاحبنا عنيد لكنه قال صحيح ووعد بالتغيير .

في صباح اليوم التالي نظرت إليه فإذا به استبدل القبعة الخضراء بواحدة سوداء !

٣٩. ومضات من المحنة

يا سائلي عن السجن عن حالي عن يومي كيف أقضيه ، عن صبري قهر الرجل هو العنوان وإليك بعض الوصف : حثالة العالم تحكم شعبي وحثالة الحثالة حراس سجني .

جُل من يدخلون السجن في ربيع العمر ، زهرة شبابهم تقطف أمام أعينهم ، كأوراق الخريف تتساقط الأعمار ، تاركةً خلفها أجساداً

عارية إلا من بعض أوراق الشباب !
من يمرض منا يعيش على المسكنات في غالب الأحيان ، وليس له شفاء سوى الله بعد الأخذ بالأسباب .
نعيش في كوكب ساكنه بلا لباس ! لا عجب فنصف الدين ممنوع من الكمال ! ولذلك مخالف لفطرة الإنسان .
أربعٌ وعشرون ساعة هي مواعيد زيارتي "تفتيشاتي " إذا كنت مستعداً لها أم أنا آكل الطعام أو في الحمام ، وحتى غارق في النوم ، لا يأبه أيٌ منها لقطع خلوتي يختار سجاني .
أربع وعشرون ساعة لا أمان لا اطمئنان ، وفي بعض المواقف شعور بالخوف . نعم .
فأنا إنسان تنطبق عليه قوانين الفطرة ، مهما على شأني في قومي ، لكن سرعان ما أتغلب عليه وأقهره مع السجان .
تأتينا مواسم نشتاق فيها بل نحلم فيها بقطعة خبر ، إلى نسمة تحمل معها رائحة تذكرنا بآدميتنا ففي هذا الموسم نعيش حالة التحنيط البطيء، تقترب فيه أشكالنا من الموميات ، يا سائلي عن هذا الموسم ، إنه الإضراب عن الطعام .
هل عشت يوماً أو اثنين بلا طعام ؟ فنحن عشنا أياماً وأسابيع أصبحنا فيها بلياقة الثعبان من كثرة الإلتواء .
الناس تموت في الحياة مرة والواحد منا يموت ألف مرة ومرة كل يوم .
يا حاسدي على معاشي وأنت قليل من الناس ، بعد أن علمت البعض عن عالمي ، هل تساوي لحظة حرية كل المال ؟!

٤٠. شموع تنزف دماً

على دوار المنارة شموع تحترق وقودها دماءٌ تسيل في غزة ، يا سادة النضال الفلسطيني هل أصبح شعركم أصفر وعيونكم زرقاء حتى تشعلوا الشموع مكان النيران ؟! ، وكأنكم في بلاد الإسكندناف ؟!
معذرة ، نسيت أنكم أبناء حرام أوسلو !!! .

تذكرت أنكم استبدلتم البندقية بكامانجة ، تعزفون عليها مقطوعة الحرب على غزة ، بلحن الأمهات الثكالى وأنات الجرحى .
تذكرت أنكم استبدلتم طبول الحرب بطبول الرقص على وقع المدافع .
ويحكم هل نفذت زخيرة الدماء من وجوهكم ؟!
سيكتم التاريخ مجروف من ..... أنكم خونة الدم .

٤١. المحنة

تربة خصبة لاكتشاف ما هو مخزون في حقول النفس .
يطوف فيها على السطح ما كان كامناً في الأعماق يتطاير فيها الغبار الذي يستر نفوسنا ، تتساقط فيها كل خطوط الدفاع عن النفس فتصبح عارية واضحة بكل تفاصيلها الدقيقة التي كانت مغطاة بلباس اللباقة والمجاملة وحسن السلوك .... ، فينكشف المستور ! والمستور ليس بالضرورة ما ساءت به نفوسنا كما هو معهود عن المستور ! وإنما ما جهلناه عنها ، خشية وطيبة .

٤٢. الهروب إلى الأحلام

أسماكٌ تتحرر كل يومٍ من شباك صياديها وتغوص هرباً في أعماقه لتعيش حريتها من جديد ، في ذلك العالم البرزخي بحرٌ يجوبه سكانه من أقصاه إلى أقصاه ، وفي معجزة باستحالة اللقاء المحسوس وكثرة العيش المنسوج بخيوط الوهم ، وفي تناقض الوهم بهذا العالم أجمل من الواقع المرير الذي يذكرك في كل حين بأنك أسير .

٤٣. عشرون عاماً من العزلة

عشرون عاماً في محطة النسيان جالستُ أنتظر قطار الحياة الذي أنزلني فيها رغماً عني وغادر دون أن يعلن عن موعد العودة .
عشرون عاماً من التيه داخل دهاليز المحطة الضيقة ، افترش رصيفها الصاخب الذي يعج بالمنسيين مثلي ، أتمنى لحظة هدوء

أختلي فيها وحدي " خلوة شرعية " حيث الحبيب مع من أحد لا يشاركهم أحد .
يا الله كم هي أحلام المنسيين بسيطة كرغيف خبز ، معقدة كتحرير القدس .
أتذكر لحظة وصولي المحطة عندما نظرت إلى الساعة التي تعتلي بوابتها وهي لا تشبه أي ساعة ، التي تشير عقاربها الثلاثة إلى الأيام والأشهر والسنين وتتحرك ببطئٍ شديد .
وضعت حقائب الصبر والثبات بجانب أحد المقاعد واستلقيت عليه ، غفوت ورحت أتقلب ذات اليمين وذات الشمال ، صحوت لهنيهة بعد عدة ساعات سألت من كان في القرب ، هل مرّ قطار الحياةمن جديد ؟ أجاب بنعم وأضاف :
صعد على متنه نفر كانوا ينتظرون منذ زمن وانطلق .
ماذا عني وعنك وعن باقي المنسيين ، كيف حصل هذا ولماذا لم يوقظني أحد ، ..... ، إنها مشيئة الله كان الرد .
عدت إلى تقلبي ودموع القلب تحرقني .
رأيت في المنام ما يؤنس وحشتي :
قطار الحياة عائدٌ من جديد ، منطلقاً من محطة العزة وهأنذا ألمحه من بعيد يقترب ويقترب ويقترب أكثر .
أيقظني من حلمي الجميل ضجيج المحطة ، نظرت إلى الساعة التي كانت تشير عقاربها إلى الثامنة مساءً! وبقي لها أربع ساعات حتى تعود إلى العد من جديد !
دعوت الله أن يصل القطار قبل تمام الساعة القادمة ، وأن أكون من ضمن قائمة المغادرين .
١٢.١٢.٢٠١٥

٤٤. الصغار والكبار

في زمن اعتقدنا فيه أننا فقدنا جيلاً في متاهات النت وعالم الفضائيات .

فإذا بهذا الجيل يخرج من أحضان متاهات المستحيل .
بالرغم من تسخير الطاقات الجبارة والإمكانات الهائلة لإغراقه في بحر المغريات إلا أنه صعد من الأعماق واعتلى أسوار القدس في خط دفاعٍ أول عن الأقصى .

إنهم المقبلون المدبرون ! ، يقبلون على الله ، مدبرين عن الدنيا .
يطعنون ويُطعنون ! يطعنون المحتل ويُطعَنون في الظهر بخنجر الخيانة !

يا من زرعتم الرعب وأسكنتم الخوف في الجوف، يا أيها الصغار الكبار علموا المحتل معنى الإنتصار .
٦.١٢.٢٠١٥

٤٥. الأسير والبحر

لا أكاد أسمع أسيراً في المحيط عبر التلفاز وحتى في الروايات يتحدث عن الحرية إلا ويذكر البحر .

أمنية الذهاب إليه بعد التحرر تعتلي دوماً سلم الأولويات ، أهو المعشوق للقادة دائماً تحدث النفس .

أم هو الاشتياق إلى من يعبّر عن الفضاء الواسع بعد الشبك الآسر ؟ .
ما لي أرى ارتباطاً لا يكاد ينفك بين الأسير والبحر .

٤٦. طيفي

سارت بي مركبة فضاء العقل إليه دون موعد للقاء ... كالعادة .
بسرعة الضوء حطت بي على شاطئه ، خلعت حذائي ورحت أمشي عاري القدمين على رمله الحريريّ ، دغدغت حبات الرمل قدميّ فشعرت بتيار يخترقني من أخمص قدمي حتى أعلى رأسي .
أغمضت عيني ورفعت الأذرع بمستوى الأكتاف حاضناً البحر ،

أستنشق هواءه بقوة حتى كدت أخنقه ويخنقني ، حينها عشت لحظة نشوة اللقاء .

جلست قبالته على صخرة صماء أتأمله ويتأملني ، أخاطبه بنظراتي ولسان خلع يرد علي بتشوقٍ لانضمامي .
تسربت إلى داخله حتى لم يعد يظهر مني سوى رأس يلطمه الموج بمحبة معاتباً على الغياب .
عجباً أيها البحر كل أنهار الشوق تصب فيك وأنت لست بملآن .
تعاقبني ؟! كيف لو علمت أنني ما زلت في الأسر وأنك لا تضم في أحضانك سوى طيفي ! .

بالأمس أرسلته إلى البحر في عطلة من القهر ، وها أنا اليوم أرسله إلى البيت في اشتياق للماضي الذي يذكرني بنشأتي الأولى في العالم الحر ، وقف طيفي على مدخل باب الماضي ، وطلب الإذن بالدخول ، فهو الآن غريب الدار ، فتح له الحنين وعانقه بحرارة أذابت فراق السنين ، مشى بعدها كالطفل في خطاه الأولى ، يتكأ على جدران البيت يتحسسها ،فوجدها قد تأكلت بعض الشيء ، ليس بالأمر العجيب ، فأبواب سجني هرمت وبدأت تتساقط أوراق الخريف وهي من الحبيب ؟ .

ترك ضيفي الجدران وانساب كالماء على تراب الحديقة المحيطة بالمنزل وأخذ يشتم راحته ويقبله هكذا حتى تكونت منه سحابة من الانفعال ، هطلت منها زخات روى بها التراب الجاف ، وقف وهو يزيل آثار الإعصار ، دار حول نفسه ببطء دورة كاملة تأمل خلالها محبوبات أمي ، ورواداً كنتُ شاهداً على ميلادها ، وعجوزٌ تحمل التوت لم أتوقف عن مداعبتها في صباها وسرقة توتها ؟

توجهت بعد أن طفت بطيفي حول البيت وسلمت على الشجر والحجر نحو الداخل ، ارتدت خطاي الخوف والحجر تحسباً من أن يشعر بي أحد فتثور المشاعر الوهمية و يكفي بما عاناه والدي منها في محطات عديدة ؟

أمي ، أول ما أبحث عنه في بيت الذاكرة هو أمي ، فليعذرني الجميع ، مقاومة المشاعر وخلاف السنة فوق قدرتي ،

إنها هي ،

لا .. هذه عجوز ووالدتك في أشدها ، خاطبني أنا قبل ٢٠ عاماً .

لكنني أشعر بالأمومة تنبعث منها نحوي لا يمكن أن يُخطأ المرء مهده ، هذه مشتعلة الرأس ترك الزمان على وجهها آثاره .
اقتربت منها أكثر . إنها هي تصنع الطعام لوالدي الذي مررت به يجلس على الأريكة يتابع الأخبار على التلفاز ، ربما ينتظر خبراً يحمل معه بشرى تحرري تساءلت في نفسي أمي بدون حجاب على تلقائيتها مشهد خارج عن النص من فيلم طويل .... لا يحتوي لها إلا على مشهد يتم تجلس فيه أمي قبالتي مع من حضر من الرجال لزيارتي على كرسي يأبى التزحزح قيد أنملة ، كم أنا في اشتياق لرؤياك وتقبيل يديك ، كم أحسد الأشياء التي تلامسها أناملك ، كم أشعر بالعجز أمام تضحياتك أي فعل بهذه الدنيا بالإمكان صنعه لقاء يوم من معاناتكِ معي .... أشيروا عليّ يا كل حكماء الأرض ...
إخوتي ما لي لا أرى أحد منهم ؟ إلى أين غادر الجميع !؟ إلى سجون قضبان أقفاصها صقلت من الذهب ؟ أجابتني سنون الغياب ما بي كلما طرقت باباً للذاكرة رد علي صدى فراغها ، كل شيء قد تغير ما عدا الجدران والصور ، فأغادر عائداً من صور الماضي إلى جدران سجني الواقعي .